السحاب في الأدب العربي والقرآن والسنة
(دراسة استقرائية نقدية وصفية)

د. صدِّيق عبدالرحمن إبراهيم موسى

أستاذ مشرك – قسم الأداب والنقد والبلاغة
كلية اللغة العربية – جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية

المستخلص:

السحاب من مقومات الحياة الإنسانية وعمران الكون، ورحمة الله على أهل الأرض ودعامة البشرية وأصل كيان المخلوقات وسبب نموها واستقرارها، وزينة السماء والأرض ومهد الجمال وملهم الأدباء وسبب في توفير المعارف والعلوم والتعليم والصحة والاستقرار والعيش الكريم، تناولت موضوعات الشعر المدح والذم والفخر والهجاء والرثاء والنسيب، والأطلال والطبيعة، والفروسية والعقيدة، وعرضت لأساليب البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنايات والتورية، تناول القرآن السحاب وأهميته في إحياء الأرض وإعمارها وبيان قدرة الله في الرزق والإعطاء والمنع وبسط الخير والتخويف والتبشير والعزاب والعقاب، وحفظ توازن الكون، وعبرت الأحاديث عن إثبات الإعجاز لنبوة نبينا محمد، وبيان عظيم خلق الله وتسخير السحاب لرسالة الإسلام ومساند دعوة نبيه.تأتي أهمية البحث للمكانة الحيوية والقيمة الإنسانية التي تتميز بها السحب في الإسهام في بناء الأرض وتنمية الموارد البشرية وتطوير المجتمعات، وإيجاد الأذواق والألوان والمعاني علي الحياة في كوكب الأرض، والقيام بالنهضة الحضارية والعلمية في سبيل التقدم والازدهار في هذا الكون، ويهدف البحث لبيان أدب السحاب وما يوفره ويمليه من المعاني والأساليب المتعددة التي ظلت ملهمة للحياة الإنسانية من خلال ما أثبتته الأشعار العربية وما حملته الكتابات الأدبية، وما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذكر السحاب بطرقه المتعددة وموضوعاته المختلفة، بما يوحي بقدرة الله وفضله، وكان منهج البحث نقدي وصفي، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وكان المبحث الأول بعنوان: السحاب في الشعر، والمبحث الثاني بعنوان السحاب في القرآن والسنة.

كلمات مفتاحية: السحاب الإعمار الإحياء الشعر القرآن السنة

The clouds in Arabic literature and religious
(Extrapolates, criticism and description study)

Dr.Siddig Abdul Rahman Ibrahim Musa

Abstract:

The clouds are natural resources, Allah mercy, human life infrastructure, food source, energy power, knowledge, sciences, health, peace, ambassador, the importance of the research droved from the essential, development, earth building, humanitarian source stability, the research aimed to show the clouds literature as spiritual of life meaning, impression, feeling, through the poetries, beside the Holy Quran and prophet sayings which uses the clouds literature, and conform that Allah has powerful and miracle, the poets uses the clouds in the, pride, praising, lampoon, nature, impossibility, the river literature in the Holy Quran as if, Allah power, reward, adornment, dooms, threat, challenge, earth development, pride, watering, incapacitation, gaiety, the clouds literature in the prophet saying, as ideals, meaning, marks, pleasure, description, wellspring, the clouds word had rhetorical forms as: simile, metaphoric, puns, rebus, the research method was extrapolates, criticism and description study. I classified the study into, introduction, two researches, conclusion, results, recommendations, and references.

Keywords: clouds, religious, poetry, natural resources, earth development.

المقدِّمة:

السحاب من أكبر مقومات الحياة الإنسانية، فهي مصدر الماء الذي يحتاجه كل كائن حي، وهي رحمة الله على أهل الأرض ومصدر الموارد المائية ودعائم البشرية وروح الحياة الإنسانية، وزينة السماء والأرض ومهد الجمال ومسرة الناظر وملهم الكتاب والشعراء، وجماع الاقتصاد والزروع وفرحة الظمآن وعون الجياع، ومظنة الخير والبركة، ومصدر الفأل الحسن، والسحاب مُعَوَّل أصيل في مجتمع المخلوقات على وجه البسيطة، تستمد منه أسباب تقدمها ونموها واستقرارها، فكانت السحائب سفيرا بين البلاد والأمصار بظلالها وأمطارها فهي السبب غير المباشر في توفير المعارف والعلوم الشرعية والتعليم والصحة والأمن والاستقرار، والعيش الكريم والمأوى المصون، ولقد أهتم الشعراء والكتاب بالسحائب وآثارها، فكانت محل إعجابهم فنظموا فيها القوافي وألفوا الكتب، فالحياة تصفو مع السحب وروعتها وهي تزين هذا الكون وتزف له البشريات وتستقبله الأرض بمواكب الفرح، ونسعى في هذا البحث لتناول صور الحياة في ظلال السحب وفوائدها المتعدية، ولقد حفل الشعر العربي بذكر السحاب وما له من دور في إلهام الشعراء والكتاب وخاصة في العصر الجاهلي واستعمل الشعراء السحب بأنواعها في البيان ومباحث المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، والتورية، ولقد جاء ذكر السحاب في القرآن العظيم والسنة النبوية لمكانته في حياة الناس ومخلوقات الله الأخرى في هذا الكون الفسيح، ولقد تعددت معاني السحاب واستعمالاته في كتاب الله العزيز والسنة المطهرة وجاءت موضوعاته مختلفة، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وكان المبحث الأول بعنوان: السحاب في الشعر العربي، والمبحث الثاني بعنوان السحاب في القرآن والسنة.

تأتي أهمية البحث للمكانة الحيوية والقيمة الإنسانية التي تتميز بها السحب في الإسهام في بناء الأرض وتنمية الموارد البشرية وتطوير المجتمعات، وكفالة العيش والاستقرار لمخلوقات الله، وما توفره السحب من أسباب ملموسة في إيجاد الأذواق والألوان والمعاني علي الحياة في كوكب الأرض، وما تؤديه من دور كبير في النهضة الحضارية والعلمية في سبيل التقدم والازدهار في هذا الكون.

يهدف البحث لبيان أدب السحاب وما يوفره ويمليه من المعاني والأساليب المتعددة التي ظلت ملهمة للحياة الإنسانية من خلال ما أثبتته الأشعار العربية وما حملته الكتابات الأدبية، وما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذكر السحاب بطرقه المتعددة وموضوعاته المختلفة، بما يوحي بقدرة الله وفضله على خلقه.

منهج البحث:

منهج البحث نقدي وصفي.

المبحث الأول:السحاب في الشعر العربي:

كان السحاب من أكبر مصادر الإلهام للشعراء وخاصة في العصر الجاهلي ولذلك حفل الديوان العربي الجاهلي بفيض من استعمالات السحائب والتي جاءت بصور متعددة تبين أهمية السحب ودورها في استقرار الحياة الجاهلية، وما تعطيه تلك السحب من بوارق الأمل في الماء الذي كان أغلى من الدماء التي تراق من دونه، وكانت العرب تجرد السيوف لحماية مواقع القطر ولذلك تغنى الشعراء بتلك الأمجاد التي شكلت جانبا مضيئا من حياتهم وإنسانيتهم، ولما كان العرب في الجاهلية هم أصحاب الفصاحة لقد وظفوا كل ما يملكون من ملكات البيان لإبراز جماليات السحب وما لها من وقع في نفوسهم، ونفتتح هذا الموكب الشعري بما قاله الشاعر الجاهلي امرئ القيس.

قال: امرؤ القيس:

لهَا وَثَبَاتٌ كَصَوْبِ السَّحَابِ فَوَادٍ خَطَاءٌ وَوَادٍ مُطِرْ
كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر
يعــــل بهـــا برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر
وَللسَّوْطِ فِيهَا مَجَالٌ كمَا تَنَزَّلَ ذُو بَرَدٍ مُنْهَمِرْ(1)

هذا الشاعر الجاهلي يصف المرأة في الجاهلية وقد أفاض في ذلك، ونجده اختار السحاب لكي يعبر به عن الموصوفة مما يفيد بأن السحاب كان من المظاهر الحيوية التي ترتقي إليها صفات المحبوبة في الجاهلية.

قال :امرؤ القيس:

تِلكَ السّحَابُ إذا الرّحمَانُ أرْسلَها رَوّى بها من مُحولِ الأرْضِ أيْبَاسَا
تِلكَ النّجُومُ إذا حَانَتْ مَطالِعُهَا شَبّهْتُهَا في سَوَادِ اللّيلِ أقبَاسَا
تِلكَ الرّيَاحُ إذا هَبّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بأذيالَها للتُّرْبِ كَنّاسَا
تِلكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى في سَنَابِلِهَا فأخرجَتْ بعد طول المُكثِ أكداسَا(2)

ذكر الشاعر السحاب وذكر اسم الرحمن جل وعلا لأنهم كانوا يعرفون أن السحاب والغيث لا يكون إلا من الرحمن الرحيم، ولذلك وثقت أشعارهم لاسم الرحمن الذي يسقي الأيباس من الأرض ثم تطرق إلى النجوم والرياح التي تقل السحاب وكل هذه المظاهر الكونية المسخرة لإنبات الشعير وهو رزق رالله للعباد، فالسحلي حاضر في عقيدة العرب في الجاهلية.

قال الممزق

صَحَا مِنْ تَصابِيهِ الفُؤَادُ المُشَوَّقُ وحانَ من الحي الجميع تفرق
وأَصْبَحَ لا يَشْفِي لهُ مِنْ فُؤَادِهِ قطار السحاب والرحيق المُرَوَّق
َمَنْ مُبْلِغُ النُّعْمانَ أَنَّ ابْنَ أخته على العَيْنِ يَعْتَادُ الصَّفَا ويُمَرِّقُ
قَضَى لجميع الناس إذ جاء أمرهم بأن يَجْنُبُوا أَفْرَاسَهُمْ ثُمَّ يَلْحَقُوا(٣)

استخدم الشاعر السحاب في معرض الشوق والحنين بعد أن ذكر في البيت الأول التصابي والشوق بقوله وأَصْبَحَ لا يَشْفِي لهُ مِنْ فُؤَادِهِ قطار السحاب والرحيق المُرَوَّق، فقطار السحاب مطره وقطار جمع قطرة، ونجد الشاعر يبين أن نار الفراق لا يطفئها المطر النازل من السحاب ولا يشفي قلب المشتاق الرحيق المروق أي المستخلص الذي لا تشوبه شائبة فالسحاب وقطره جاء كناية عن شدة نار الشوق التي لا تنطفئ.

قال جرير

سَأَحْمِلُها وتَعْقِلُها غَنيٌّ وأُورِثُ مَجْدَها أَبَداً كِلاَبَا
فإِنْ أَحْمَدْ بها نَفْسِي فإِنِّي أَتَيْتُ بها غَدَاتَئِذٍ صَوَابَا
وكنْتُ إِذا العَظِيمَةُ أَفْظَعَتْهُمْ نَهَضتُ ولا أَدِبُّ لها دِبَابَا
بحَمْدِ اللهِ ثُمّ عَطاءِ قَوْمٍ رَعَيناه وإِنْ كانُوا غِضابَا(4)
إِذا نزل السَّحابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيناه وإِنْ كانُوا غِضابَا(5)

ذكر جرير السحاب في معرض الفخر بعد أن تحدث عن أمجاد قبيلته ثم تحدى الآخرين بقوله إذا نزل السَّحابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيناه وإِنْ كانُوا غِضابَا، فهم لا يبالون بخوض الحرب التي يسفك فيها الدماء مقابل الماء النازل من السحاب، ولقد استخدم الشاعر السحاب استخداما مجازيا يقوله إذا نزل السحاب والسحاب لا ينزل وإنما ينزل ماؤه، ويقول رعيناه وإن كانوا غضابا، والرعي يكون للكلأ الذي يتسبب السحاب في إنباته، فالسحاب استعمل في المجاز المرسل فهو السبب والكلأ المسبب والعلاقة السببية.

قال عنترة بن شداد

يَدْعُونَ عَنْتَرَ، والرّمَاحُ كأنّها أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ
كَيْفَ التّقَدّمُ والرّمَاحُ كَأَنّها بَرْقٌ تلألأ في السّحَابِ الأرْكَمِ
كَيْفَ التّقَدّمُ والسّيوفُ كَأَنّها غَوغا جَرادٍ في كَثيبٍ أَهْيَمِ
ما زِلْتُ أَرْميهِم بِغُرّةِ وَجْهِهِ ولَبَانِهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدّمِ(6)

هذا هو الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد يفخر بفروسيته ويصف شجاعته وسط أهوال الحرب وهي تحدق به من كل مكان ويصف الرماح من حوله ذاكرا السحاب بقوله كَيْفَ التّقَدّمُ والرّمَاحُ كَأَنّها بَرْقٌ تلألأ في السّحَابِ الأرْكَمِ، ولقد شبه الرماح ببريقها ولمعان أنصالها مع الضوء وهي تنهال عليه وسط غبار الحرب، شبهها بصورة البرق وهو يتلألأ وسط جموع السحاب المتراكم، وهذا البيان من روائع التشبيه لأنه تشبيه مركب بمركب وفيه تتضح الصورة الجمالية للتعبير البياني.

قال محمد بن كعب الغنوي

بِعَيْنّي أَوْ يُمْنَى يَدَيّ، وقيلَ لي هُوَ الغَانِمُ الجَذْلاَنُ يَوْمَ يَؤُوبُ
لَعَمْرُكُمَا إنَّ البَعِيدَ لَمَا مَضَى، وإنّ الذي يَأْتي غداً لَقَرِيبُ
وَإنّي وَتَأْمِيلي لِقَاءَ مُؤَمَّلٍ، وَقَدْ شَعَبَتْهُ عن لِقَايَ شَعُوبُ
سَقَى كلَّ ذِكرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمَّلٍ على النّأيِ، زَحّافُ السّحَابِ سَكُوبُ(7)

ذكر الشاعر السحاب بعدما عانى الحرمان من فقد الحبيب الذي أصبح بعيدا فالشاعر يسلي نفسه بشيء من الحكمة في سبيل الحصول على المأمول ولذلك دعا لمن غاب عنه بقوله سَقَى كلَّ ذِكرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمَّلٍ على النّأيِ، زَحّافُ السّحَابِ سَكُوبُ، فقد تمنى الشاعر أن يعم الغيث كل محبوب غائب لا يمكن الوصول أليه والسحاب كان من أغلى ما تتمناه العرب ولذا استخدمته في الدعاء للمحبوب.

قال الأعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحاب لا ريث ولا عجل(8)

الشاعر الأعشى يصف المحبوبة في البيت الأول وذكر التشبيه ثم عاد في البيت الثاني ليأتي بتشبيه آخر لمشية المحبوبة ولكنه يختار السحاب ومروره في عرض السماء عزيزا مكرما لا يعترضه أحد ولا يتضايق منه أحد في منظر بهي وجميل ويسير سيرا قاصدا لا مسرعا ولا متأنيا، وهو يشبه هيئة مركبة بأخرى مركبة.

قال أعرابي يرثي ابنه

يَا دَارُ بالقَفْرِ اليَبَابِ وَالمَنْزِلِ الوَحْشِ الخَرَابِ
وَمَصَبِّ أَرْوَاقِ السَّحَابِ وَمَجَرِّ أَذْيَالِ الهَوَابِ
دَارَ البِلَى وَمَحلَّ أَمْوَاتٍ وَنَأْيٍ وَاغْتِرَابِ
بِيَدَيَّ فِيكِ دَفَنْتُ نَصْراً بَيْنَ أَطْبَاق التُّرَابِ
كَشَبَا المُهَنَّدِ أَوْ كَشِبْلِ اللَّيْثِ أَوْ فَرْخِ العُقَابِ(9)

استخدم الشاعر السحاب في معرض الرثاء بقوله مَصَبِّ أَرْوَاقِ السَّحَابِ وَمَجَرِّ أَذْيَالِ الهَوَابِ، قال هذا بعد أن ذم الدنيا ووصفها بنعوت الزوال والفناء، واختار الشاعر أرواق السحاب أي أجمل ما يجود به السحاب ورواق كل شيء أجمله وأحسنه، وذكر السحاب لكثرة عطاءه وإحيائه للأرواح والنبات والكرة الأرضية كلها، ومع كل ذلك فأن الدنيا زائلة فانية بكل ما فيها من أسباب الغنى الناتجة من أثر مياه الأمطار النازلة من السحاب، وفي ذلك استصغار للدنيا أمام الموت المحتوم فبهذه الكلمات التي من بينها السحاب وبأسلوب الكناية سلى ذلك الأعرابي نفسه وهو يرثي ابنه.

قال أبو الشمقمق

رأيت الخبز عزّ لديك حتّى حسبت الخبز في جو السحاب
وما روّحتنا لتذبّ عنا ولكن خفت مرزئة الذباب(10)

ذكر الشاعر السحاب للذم والاستخفاف والتنقص بقوله رأيت الخبز عزّ لديك حتّى حسبت الخبز في جو السحاب أي بعيد المنال بل من المستحيلات لأن السحاب مستعصم بالأعالي ولا سبيل للذهاب إليه هكذا

عبر الشاعر عن استيائه بالمبالغة في التعبير.

قال إسحاق بن سويد العدوي:

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا   يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي   وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا   به أرجو غدا حسن الثواب(11)

يقول الشاعر أنه تبرأ من الخوارج ورموزهم وآمن برسول الله صلي الله عليه وسلم وأحبه وأحب صاحبه الصديق وخليفته من بعده، وبيَّن غلو الخوارج في علي بعد أن رفعته وجعلته فوق السحاب وأشار إلى ذلك بقوله: ومن قوم إذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب، وذكر الشاعر السحاب لبيان غلو الخوارج وبعدهم عن الواقع في طلبهم وتأييدهم للمستحيل عن طريق الكناية التي اختاروا لها السحاب بكامل بركته التي يجب شكر الله عليها، وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ: قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صوحان عائدا إلى مكة، فلقيه رجل فقال له: يا عبد الله، كيف تركت الأرض؟ قال: عريضة أريضة. قال: إنما عنيت السماء. قال: فوق البشر، ومدى البصر. قال: سبحان الله، إنما أردت السحاب! قال: تحت الخضراء، وفوق الغبراء. قال: إنما أعني المطر. قال: عفّى الأثر، وملأ القتر، وبلّ الوبر، ومطرنا أحيا المطر. قال: إنسيّ أنت أم جنيّ؟ قال: بل إنسي، من أمة رجل مهدي، صلّى الله عليه وسلّم.(١٢)

قال المرار التغلبي

يظلّ بها فرخ القطاة كأنّه   يتيم جفا عنه مواليه مطرق
غدت تستقي من منهل ليس دونه   مسيرة شهر للقطا، متعلّق
تراه إذا أمسى وقد كاد جله   من الحرّ عن أوصاله يتمزّق
فلما ارتوت من مائه لم يكن لها   أناة وقد كادت من الرّيّ تبصق
طمت طموة صعدا ومدّت جرانها   وطارت كما طار السّحاب المحلّق(13)

هذه الأبيات من قصيدة المرَّار وهي من أجمل ما قيل في القطا ووصفه ولقد شبه الشاعر القطا بالسحاب في البيت الأخير بقوله: وطارت كما طار السحاب المحلق، وهذا التشبيه الذي تأكد بوجود حرف التشبيه الكاف في (كما) يحمل في طرفه استعارة مرشحة، فالشاعر شبه السحاب بالطائر بقوله كما طار السحاب والسحاب لا يطير وإنما الطيران للطيور فحذف المشبه به وهو الطائر ورمز له بلازمة من لوازمه وهي التحليق على سبيل الاستعارة المكنية، وصحيح العبارة هو: وطارت كما طار الطائر المحلق في أعالي السحاب، وعدل إلي القول: طارت كما طار السحاب وهذه استعارة رشحها وقوى معناها بإضافة كلمة المحلق فأصبحت من الاستعارة المرشحة.

قال أبو نواس

سقيا لغير العلياء والسّند   وغير أطلال ميّ بالجرد
ويا صبيب السّحاب إن كنت   قد جدت اللّوى مرة فلا تعد
لا تسقين بلدة إذا عدّت   البلدان كانت زيادة الكبد

وقوف ريحانة على أذن   وسير كأس إلى فم بيد
يسقيكها من بني العباد رشا   منتسب عيده إلى الأحد(14)

ذكر أبو نواس الأطلال العلياء والسند وأطلال ميّ، ثم خاطب المطر وهو صبيب السحاب أي صبابته من در مائه ومطره، وهو في ذلك يأمل من صيب السحاب والمطر أن لا يسترسل في سقيا اللّوى وهي قرية بعينها، ويكفي أصابته لها مرة واحدة وذكر العلة في البيت الثالث بقوله: لا تسقين بلدة إذا عدّت البلدان كانت زيادة الكبد، وزيادة الكبد هي زيادة كبد الحوت وهو أول طعام أهل الجنة، فإذا كان يعنى ذلك فهذه كناية، وإن كان يعني الشاعر كبده هو فهذه تورية والمعني الأخير هو الراجح لأنه من نهج أبي نواس والله أعلم، ولكن القول الأول يعد من نافلة ثقافته الإسلامية عن صفة الجنة إذا عناه، لأنه أراد تعظيم تلك القرية ورفع منزلتها.

قال أبو الأسد

ولائمة لامتك يا فيض فى النّدى   فقلت لها: لن يقدح اللّوم فى البحر
أرادت لتثنى الفيض عن عادة النّدى ومن ذا الّذى يثنى السّحاب عن القطر
مواقع جود الفيض فى كلّ بلدة   مواقع ماء المزن فى البلد القفر
كأنّ وفود الفيض حين تحمّلوا   إلى الفيض وافوا عنده ليلة القدر(15)

ذكر الشاعر السحاب في معرض المدح بعد أن ذكر الندي والجود والبحر الذي أراد به الممدوح ثم تعرض للسحاب بقوله: أرادت لتثنى الفيض عن عادة النّدى ومن ذا الّذى يثنى السّحاب عن القطر، وأشار إلى الممدوح بالفيض وجعله اسما له فإن كان ذلك اسم الممدوح الحقيقي فهو غاية ما يحبه الممدوح، وإن لم يكن اسمه الحقيقي فهذه كناية عن نسبة لأن الفيض رمز الكرم ويكفي أن يجعل الممدوح محلا ومكانا للكرم والندى، فالسحاب وهو مصدر الفيض لا يتحكم فيه ولا يثنيه عن النزول إلا رب الفيض.

قال الحسين بن مطير الأسدي

مستضحك بلوامع، مستعبر   بمدامع لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرّة   ضحك يؤلّف بينه وبكاء
ذاب السّحاب فهو بحر كلّه وعلى البحور من السّحاب سماء
غدق ينتّج بالأباطح فرّقا   تلد السّيول وما لها أسلاء
سحم فهنّ إذا كظمن فواحم   سود، وهنّ إذا ضحكن وضاء(16)

هذه الأبيات من أجمل ما قيل في وصف السحاب ونجد قول الشاعر ذاب السّحاب فهو بحر كلّه وعلى البحور من السّحاب سماء، لقد وصف الشاعر البحر بالذوبان والبحر لا يذوب وإنما يذوب الماء الذي يكونه وهذا مجاز مرسل لأن الشاعر ذكر المكان وأراد الحال أو المحتوي أو المكوَّن، والمجاز مرسل علاقته المكانية ويؤيد ذلك قول الشاعر فهو بحر كله أي ماء، وأما الشطر الثاني من البيت فقد ورد فيه لفظ السحاب في قول الشاعر: وعلى البحور من السحاب سماء، وهذا الاستعمال جاري على مجاري مجازات العرب فكانت تسمي المطر والسحب سماء، والمراد وصف طبيعي وهو وجود السحاب فوق البحار.

قال سعيد بن حميد:

طلعت أوائل الرياض فبشرت نور الربيع بجدة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب في الربا أذيال أسحم حالك الجلباب
وترى السماء إذا أسف ربابها وكأنها كسيت جناح غراب
وترى الغصون إذا الرياح تنفست ملتفة كتعانق الأحباب
تبكي لتضحك نورهن فيا له ضحكاً تكشف عن بكاء سحاب(17)

جاءت الأبيات في وصف السحاب وذكر الشاعر السحاب بقوله: وغدا السحاب يكاد يسحب في الربا أذيال أسحم حالك الجلباب، وشبه الشاعر السحاب بإنسان يجر ثيابه ولكنه حذف لفظ الإنسان (المشبه به) وأشار إليه بلازمة من لوازمه وهي الجلباب، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، وورد لفظ السحاب مرة أخرى في البيت الأخير بقوله: تبكي لتضحك نورهن فيا له ضحكاً تكشف عن بكاء سحاب، فجملة بكاء السحاب هي الأخرى مجاز شبه فيها الشاعر السحاب بإنسان يبكي ووجه الشبه أن الإنسان يرسل الدموع والسحاب يرسل الماء في محل الدموع وهذه كناية عن نزول المطر، ومن المعلوم في البلاغة العربية أن الكناية لا تسمى كناية إلا كانت مجازا.

قالت جارية:

قالوا أضرّ بنا السحاب بقطره لما رأوه لعبرتي يحكي
لا تعجبوا مما ترون، وإنما هذا السحاب لرحمتي يبكي(18)

ذكرت الجارية السحاب في البيتين، أما البيت الأول بقولها: قالوا أضر بنا السحاب بقطره، والسحاب لا يضر إنما الضرر من الماء الزائد بدليل كلمة قطره التي تعني الماء وهذا مجاز مرسل علاقته المكانية لأن المذكور المكان والمراد المكوَّن، وفي البيت الثاني لقولها لرحمتي يبكي، وهذه كناية عن الغوث الذي جاء به السحاب.

يقول حبيب:

كعب وحاتم اللذان تقسّما خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجدّ ميتة خضرم صنديد
إلّا يكن فيها الشّهيد فقومه لا يسمحون به بألف شهيد(19)

الشاعر يمدح حاتم الطائي بالكرم ويصفه بأنه خلف السحاب في الكرم بقوله: هذا الذي خلف السحاب في صدر البيت الثاني، ويزعم الشاعر أن الممدوح صاحب عطاء مثل عطاء السحاب ولذا خلفه وحل محله، في كناية واضحة عن كثرة الخير والكرم والعطاء.

قال أبو عمرو الجرجانيّ

رأيتكم بقية حيّ قيس وهضبتها التي فوق الهضابِ
تُبارُون الرِّياحَ إذا تبارت وتمتثلون أفعال السَّحاب(20)

ذكر الشاعر السحاب في البيت الثاني بقوله: تمتثلون أفعال السَّحاب، أي تفعلون كما يفعل السحاب عندما ينزل منه المطر ويعم الخير، وهذه كناية عن الكرم والجود.

من خلال الوقوف علي معاني السحاب في الشعر العربي نجد أن موضوعات السحاب دارت حول: المدح والذم والفخر والهجاء والرثاء والنسيب، ووصف الأطلال، وذكر الديار، والشوق والحنين، والفروسية والشجاعة والحرمان والأسى، ووصف الطبيعة والحيوان، وتناولت الموضوعات جوانب العقيدة وذكر الله تعالي والتمسك بالحق والغلو في الدين، ومن جانب آخر جاءت معاني السحاب بأساليب البيان المختلفة من الاستعارات والتشبيهات والكنايات والتورية.

المبحث الثاني:السحاب في القرآن والسنة :

لقد ورد ذكر السحاب في كتاب الله العزيز وفي السنة المطهرة، وتناولته الآيات الكريمة والأحاديث النبوية كظاهرة من الظواهر الكونية التي خلقها الله تعالى من بين مخلوقاته وأيدها بوظائف محددة وحكم ربانية، وفيما بلي نقف عند الآيات التي ورد فيها ذكر السحاب في القرآن الكريم.

قال الله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(٢١)

جاء في تفسير الآية: أيها المشركون إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أنّ إلهكم إله واحد، دونَ ما تدَّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججي وفكروا فيها، فإن من حُججي خَلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلكُ التي تجري في البحر بما يَنفعُ الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثتُ فيها من كل دابة، والسحاب الذي سَخرته بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهرَ أو انفرد بعضُه دون بعض، يقدر على أن يخلق نظيرَ شيء من خَلقي الذي سميتُ لكم، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذرٌ، وإلا فلا عُذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري. فليتدبر أولو الألباب إيجازَ الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوْجز كلام، وأبلغ حجة وألطف معنى يشرف بهم على مَعرفة فضْل حكمة الله وبَيانه.(٢٢) الآية للتحدي ورد حجج الكافرين والسحاب آية عظيمة لا يستغني عنها الأحياء لنفعها.

قال الله تعالى (وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ)(٢٣)

جاء في التفسير: وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً، قَائِمَةً وَاقِفَةً، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ، أَيْ تَسِيرُ سَيْرَ السَّحَابِ حَتَّى تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَتَسْتَوِي بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَظِيمٍ وَكُلَّ جَمْعٍ كَثِيرٍ يَقْصُرُ عَنْهُ الْبَصَرُ لِكَثْرَتِهِ وَبُعْدِ مَا بَيْنَ أَطْرَافِهِ فَهُوَ فِي حُسْبَانِ النَّاظِرِ وَاقِفٌ وَهُوَ سَائِرٌ، كَذَلِكَ سَيْرُ الْجِبَالِ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(٢٤) لبيان قدرة الله في تحريك الجبال وتسييرها كما يسير السحاب تلك الآية الواضحة البينة.

قال الله تعالى (أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ)(٢٥)

جاء في تفسير الآية: أَوْ كَظُلُماتٍ عطف على كَسَرابٍ وأَوْ للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب، أو للتنويع

فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة، فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ذي لج أي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء، يَغْشاهُ يغشى البحر، مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ أي أمواج مترادفة متراكمة، مِنْ فَوْقِهِ من فوق الموج الثاني، سَحابٌ غطى النجوم وحجب أنوارها، والجملة صفة أخرى للبَحْرٍ. ظُلُماتٌ أي هذه ظلمات، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ وهي أقرب ما يرى إليه. لَمْ يَكَدْ يَراها لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها.(٢٦)

ذكر الله ظلمة السحاب من بين الظلمات عندما يغطي السماء بأمر الله كواحد من جنده جل وعلا.

قال الله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ)(٢٧)

جاء في المعنى (يُزْجِي معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل ومدافعته كالسحاب والإبل المزاحف وقوله يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أي بين مفترق السحاب نفسه لأن مفهوم السحاب يقتضي أن بينه فروجا، والركام الذي يركب بعضه بعضا ويتكاثف، والعرب تقول إن الله تعالى إذا جعل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فخرج الْوَدْقَ منه)(٢٨) أي يسوق السحاب بأمره وفضله ليحمل الماء والرزق والخير للخلائق في الدنيا لإحياء الأرض وإعمارها

قال تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)(29)

جاء في تفسير قَوْله تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي يريكم الْبَرْق خوفًا وَطَمَعًا} الْبَرْق: نور مضيء شبه عَمُود من نَار من اتقاد السَّحَاب، وَالتَّفْسِير الْمَعْرُوف عَن السّلف أن الْبَرْق مخاريق بأيدي الْمَلَائِكَة من نَار يسوقون بهَا السَّحَاب إِلَى حَيْثُ شَاءَ الله تَعَالَى، وَقَوله {خوفًا وَطَمَعًا} فِيهِ أَقْوَال: أَحدهَا أَن الْخَوْف من الصاعقة، والطمع فِي نفع الْمَطَر، وَالثَّانِي: أَن الْخَوْف للْمُسَافِر، فَإِن عَادَة الْمُسَافِر أَن يتَأَذَّى بالمطر، والطمع للمقيم، لِأَن الْمُقِيم يَرْجُو الخصب بالمطر من السحب المنشأة.(٣٠) والسحب لبيان فضل الله ولتخويف المارقين عن طاعة الله البرق وتبشير المؤمنين بالطمع في رزق الله.

قال الله تعالى (الله الَّذِي يُرْسل الرِّيَاح فتثير سحابا فيبسطه فِي السَّمَاء كَيفَ يَشَاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فَإِذا أصَاب بِهِ من يَشَاء من عباده إِذا هم يستبشرون)(٣١)

جاء فِي قَوْله تَعَالَى: {فيبسطه فِي السَّمَاء كَيفَ يَشَاء} أَي: مسيرَة يَوْم ومسيرة يَوْمَيْنِ وَأكْثر على مَا يَشَاء، وَقَوله: {ويجعله كسفا} أَي: قطعا، وَقَوله: {فترى الودق يخرج من خلاله} قَرَأَ الضَّحَّاك من خلله، والودق: الْمَطَر وَقيل: الودق: هُوَ الْبَرْق، وَالْأول أظهر، وَقَوله: {فَإِذا أصَاب بِهِ من يَشَاء من عباده إِذا هم يستبشرون} أَي: يبشر بَعْضهم بَعْضًا.(٣٢)السحاب للبشرى

قال تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)(٣٣)

جاء في تفسير: قوله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ الإرسال فى القرآن يقال فى الإنسان وفى الأشياء المحبوبة والمكروهة وقد يكون ذلك للتسخير كارسال الريح والمطر وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع والإرسال يقابل الإمساك، والرياح جمع ريح بمعنى الهواء المتحرك أصله

روح ولذا يجمع على أرواح وأراد بها الجنوب والشمال والصبا فانها رياح الرحمة لا الدبور فانها رياح العذاب، فَتُثِيرُ سَحاباً تهيجه وتنشره بين السماء والأرض لانزال المطر فانه مزيد ثار الغبار إذا هاج وانتشر ساطعا، فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه فَأَحْيَيْنا بِهِ أي بالمطر النازل من السحاب الْأَرْضَ بعد خرابها.[٣٤] السحاب لإحياء الأرض وبسط الخير.

قال تعالى (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ)[35]

جار في تفسير قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً) قَالَ ذَلِكَ جَوَابًا لِقَوْلِهِمْ: (فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ) لَقَالُوا: (سَحابٌ مَرْكُومٌ) أَيْ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ سَقَطَ عَلَيْنَا وَلَيْسَ سَمَاءً، وَهَذَا فِعْلُ الْمُعَانِدِ أَوْ فِعْلُ مَنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ التَّقْلِيدُ، وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ الْقِسْمَانِ. وَالْكِسَفُ جَمْعُ كِسْفَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ.[٣٦] السحاب للعذاب والعقاب.

ومن خلال وقوفنا على الآيات في القرآن الكريم وجدناها تناولت في موضوعها إحياء الأرض وإعمارها وبيان قدرة الله تعالى على خلقه والتحدي والرزق والإعطاء والمنع وبسط الخير والتخويف والتبشير والعزاب والعقاب، وحفظ توازن الكون بتسخير السحاب لتوصيل وتنفيذ أمر الله على من يشاء من خلقه.

أما السحاب في السنة النبوية المطهرة فقد جاء في كثير من الأحاديث وفيما يلي نعرض لبعضها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا) فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ، وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ.(٣٧) جاء ذكر السحاب للإعجاز وإثبات نبوة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَطْحَاءِ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ « قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: « وَالْمُزْنُ « قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: « وَالْعَنَانُ «، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ « قَالَ: قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلَافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.(٣٨) الحديث يبين أن السحاب من معجزات الله وعظيم خلقه في السماء.

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , يَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ، وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، يَسْتَمِعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.(٣٩) السحاب مسخر لتوصيل رسالة الإسلام.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بِطَرِيقٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ: (يُوشِكُ أَنْ

يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهَا قِطَعُ السَّحَابِ أَوْ قِطْعَةُ سَحَابٍ هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ فَقَالَ: «إِلَّا أَنْتُمْ» كَلِمَةً ضَعِيفَةً (أي بصوت خافت).(٤٠) السحاب للتشبيه وتقريب المعنى لعظمه ورسوخ فائدته وفضله بين الناس ومخلوقات الله في كونه.

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى النَّخْلِ نَتَحَدَّثُ، قَالَ: نَعَمْ فَدَعَا بِخَمِيصَةٍ يَلْبَسُهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، هَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ اعْتَكَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَشْرٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ، قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ خَرَجَ فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي أُنْسِيتُهَا، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي وِتْرٍ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ إِذَا السَّحَابُ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَمُطِرْنَا حَتَّى سَالَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ، قَالَ: وَسَقْفُهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، حَتَّى رَأَيْتُ الطِّينَ فِي أَرْنَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(٤١) السحاب من جند الله ومؤيدا لدينه ومساندا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من خلال وقوفنا على الأحاديث النبوية التي تناولت السحاب، فقد جاء ذكره للإعجاز وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله علبه وسلم، وبيان عظيم خلق الله ومعجزاته في السماء، والسحاب مسخر لتوصيل رسالة الإسلام، وهو للتشبيه وتقريب المعنى لعظمه ورسوخ فائدته وفضله بين الناس ومخلوقات الله في كونه، وهو من جند الله ومؤيد لدينه ومساندا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

من خلال الوقوف علي معاني السحاب في الشعر العربي نجد أن موضوعات السحاب ومعانيه دارت حول: المدح والذم والفخر والهجاء والرثاء والنسيب، ووصف الأطلال، وذكر الديار، والشوق والحنين، والفروسية والشجاعة والحرمان والأسى، ووصف الطبيعة والحيوان، وتناولت الموضوعات جوانب العقيدة وذكر الله تعالي والتمسك بالحق والغلو في الدين، ومن جانب آخر جاءت معاني السحاب بأساليب البيان المختلفة من الاستعارات والتشبيهات والكنايات والتورية.

ومن خلال وقوفنا على الآيات في القرآن الكريم وجدناها تناولت في موضوعها إحياء الأرض وإعمارها وبيان قدرة الله تعالى على خلقه والتحدي والرزق والإعطاء والمنع وبسط الخير والتخويف والتبشير والعزاب والعقاب، وحفظ توازن الكون بتسخير السحاب لتوصيل وتنفيذ أمر الله على من يشاء من خلقه.

من خلال وقوفنا على الأحاديث النبوية التي تناولت السحاب، فقد جاء ذكره للإعجاز وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله علبه وسلم، وبيان عظيم خلق الله ومعجزاته في السماء، والسحاب مسخر لتوصيل رسالة الإسلام، وهو للتشبيه وتقريب المعنى لعظمه ورسوخ فائدته وفضله بين الناس ومخلوقات الله في كونه، وهو من جند الله ومؤيد لدينه ومساندا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

النتائج:

(1) السحاب من المظاهر الطبيعية التي استرعت الشعراء.

(2) وجد السحاب اهتماما بين الأدباء لعظيم أثره في الحياة الإنسانية.

(3) استغرق السحاب أساليب وموضوعات الشعر العربي المتعارف عليها.

(4) تناول القرآن الكريم السحاب وفوائده لبيان ما يجب على المخلوق من الشكر.

(5) عبرت الأحاديث عن السحاب لإثبات الدور العظيم لمنهاج السنة النبوية في الحياة.

التوصيات:

(1) الوقوف على معاني السحاب في القرآن الكريم لمعرفة المزيد عن عظمة الله.

(2) قراءة السنة النبوية للتمتع بما أيد الله به نبيه محمد من تسخير السحاب.

(3) الإطِّلاع على الشعر العربي لمعرفة روائع منظومات العرب عن السحاب.

الهوامش:

(1) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي ص: 108

(2) المرجع السابق ص113

(3) المفضل الضبي، ت أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط السادسة ص301

(4) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص131

(5) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص131

(6) أبو زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص371

(7) المرجع السابق ص 564

(8) الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ ص18

(9) حبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص 151

(10) عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ ص103

(11) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404ه 2/264

(12) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423ه 3/311

(13) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424ه 5/309

(14) عمرو بن بحر بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1423ه، ص173

(15) عبد الله بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423ه، 1/73

(16) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 هـ 1926م 1/177

(17) عبد الله بن محمد بن المعتز، البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الطبعة الأولى 1410هـ 1990م ص115

(18) محمد بن أحمد بالوشاء، الظرف والظرفاء، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، 1371هـ ص90

(19) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ 1/246

(20) الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الأدب، تحقيق، عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة 2، 1984م، 174

(21) البقرة 164

(22) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد شاكر، الرسالة، ط1، 1420هـ 3/267

(23) النمل 88

(24) منصور السمعاني، تفسير السمعاني، ت ياسر، وغنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م، 3/ 519

(25) النور 40

(26) عبد الله البيضاوي، تفسير البيضاوي، ت المرعشلي، إحياء التراث، بيروت، ط1، 1418هـ 4/ 109

(27) النور 43

(28) عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق، عبد السلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 422 ه، 4/ 189

(29) الرعد 12

(30) منصور السمعاني (مرجع سابق)3/ 82

(31) الروم 48

(32) تفسير السمعاني (مرجع سابق) 4/ 220

(33) فاطر 9

(34) إسماعيل الإستانبولي الحنفي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، 7/ 322

(35) الطور 44

(36) محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق البردوني وأطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/17/ 77

(37) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ 2/12 رقم 933

(38) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، الرسالة، شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ 3/292 رقم 1770

(39) عبد الله بن وهب، الجامع لإبن وهب، تحقيق مصطفى أبو الخير، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى 1416 هـ ص 770

(40) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا، 2/254 رقم 987

(41) محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، حققه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ 8/441 رقم 3685

المصادر والمراجع:

(1) القرآن العظيم

(2) ديوان امرئ القيس تحقيق المصطفاوي.

(3) المفضل الضبي، ت أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط السادسة.

(4) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب.

(5) أبو زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(6) الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

(7) حبيب بن أوس أبو تمام، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

(8) عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ.

(9) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404ه.

(10) أ- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423ه.

ب- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424ه.

ج- عمرو بن بحر بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1423ه.

(11) عبد الله بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423ه.

(12) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 ه.

(13) عبد الله بن المعتز، البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الطبعة الأولى 1410هـ 1990م.

(14) محمد الوشاء، الظرف والظرفاء، ت كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط الثانية 1371هـ.

(15) الحسن العسكري، المصون في الأدب، ت عبد السلام هارون، حكومة الكويت، ط الثانية 1984م.

(16) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد شاكر، الرسالة، ط1، 1420هـ.

(17) منصور السمعاني، تفسير السمعاني، ت ياسر، وغنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

(18) عبد الله البيضاوي، تفسير البيضاوي، ت المرعشلي، إحياء التراث، بيروت، ط1، 1418هـ.

(19) ابن عطية الأندلسي، ت عبد السلام عبدالشافي، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،422ه.

(20) إسماعيل الإستانبولي الحنفي، روح البيان، دار الفكر، بيروت

(21) القرطبي، تفسير القرطبي، ت البردوني وأطفيش، الكتب المصرية، القاهرة ط الثانية، 1384هـ.

(22) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

(23) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، الرسالة، شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، ط الأولى 1421هـ.

(24) عبد الله بن وهب، الجامع لإبن وهب، ت أبو الخير، ابن الجوزي، الرياض ط الأولى 1416هـ.

(25) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا.

(26) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى 1408هـ.